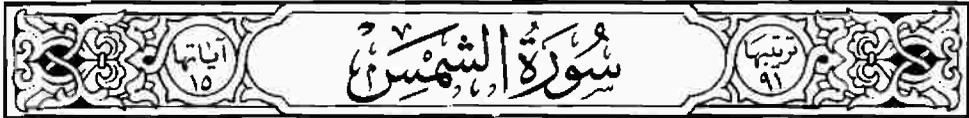


الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وفي الحديث الآخر لا يرحم الله من لا يرحم الناس . وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو برويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا .

وقوله تعالى ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴾ أي أصحاب الشمال ﴿ عليهم نار مؤصدة ﴾ أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ! قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي ﴿ مؤصدة ﴾ أي مطبقة قال ابن عباس : مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش أي أغلقه وسيأتي في ذلك حديث في سورة ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ وقال الضحاك ﴿ مؤصدة ﴾ حيط لا باب له ، وقال قتادة ﴿ مؤصدة ﴾ مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأيد ، وقال أبو عمران الجوني إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره ، فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم أي أطبقوها ، قال : فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً ، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً ، رواه ابن أبي حاتم . آخر تفسير سورة البلد ، والله الحمد والمنة .



تقدم حديث جابر الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ ه هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ؟ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَىٰهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَبَقَهَا ⑥ وَالنَّفْسِ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَن رَّكَعَهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ⑩

قال مجاهد ﴿ والشمس وضحاها ﴾ أي وضوئها . وقال قتادة ﴿ وضحاها ﴾ النهار كله . قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ قال مجاهد : تبعها ، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ قال : يتلو النهار ، وقال قتادة : إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس روي الهلال ، وقال ابن زيد ، هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ثم هي تتلوه وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر . وقوله تعالى ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ قال مجاهد : أضاء . وقال قتادة ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ إذا غشيتها النهار ، وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها .

﴿ نلت ﴾ ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ أي البسيطة لكان أولى ولصح تأويله في قوله تعالى : ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ فكان أجود وأقوى ، والله أعلم . ولهذا قال مجاهد ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ إنه كقوله تعالى : ﴿ والنهار إذا تجلى ﴾ وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجران ذكرها ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الأفاق .

وقال بقية بن الوليد عن صفوان : حدثني يزيد بن ذي حمامة قال : إذ جاء الليل قال الرب جل جلاله غشي عبادي خلقي العظيم فالليل يباهه والذي خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبي حاتم ، وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى الساء وبنائها ، وهو قول قتادة : ويحتمل أن تكون بمعنى من يعني والساء وبنائها ، وهو قول مجاهد ، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّاءِ بَنِيانَهَا بِأَيْدٍ - أَيْ بَقْوَةٍ - وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ والأرض فرشتها فنعم الماهدون ﴿ وهكذا قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ قال مجاهد : طحأها دحأها ، قال العوفي عن ابن عباس ﴿ وما طحأها ﴾ أي خلق فيها . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : طحأها قسمها . وقال مجاهد وقاتدة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد ﴿ طحأها ﴾ بسطها ، وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهري : طحوته مثل دحوته أي بسطته .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى : ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ وقال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوداه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ » أخرجه من رواية أبي هريرة ، وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها . قال ابن عباس ﴿ فألمها فجورها وتقواها ﴾ بين لها الخير والشر ، وكذا قال مجاهد وقاتدة والضحاك والثوري ، وقال سعيد بن جبير : ألمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها ، وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا : حدثنا عزرة بن ثابت ، حدثني يحيى بن عقبل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدبلي قال : قال لي عمران بن حصين : رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبينهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شيء قضى عليهم ، قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففرغت منه فرعاً شديداً قال : قلت له ليس شيء إلا وهو خلقه ومملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، قال : صدك الله إنما سألتك لأخبر عقلك ، إن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، شيء قضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبينهم ﷺ وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال « بل شيء قد قضى عليهم » قال : فقيم نعمل ؟ قال « من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يبيته لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ فألمها فجورها وتقواها » ، رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة : وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل ، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ وذكر اسم ربه فصل ﴿ وقد خاب من دسأها ﴾ أي دسها أي أحمها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل ، وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه ، وقد خاب من دسى الله نفسه كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا أبو مالك يعني عمرو بن الحارث عن عمرو بن هشام عن جوير ، عن الضحاك عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله عز وجل ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ قال النبي ﷺ « أفلحت نفس زكأها الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به ، وجوير هذا هو ابن سعيد متروك الحديث ، والضحاك لم يلق ابن عباس ، وقال الطبراني ، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية ﴿ ونفس وما سواها ﴾ فألمها فجورها وتقواها ﴿ وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكأها » .

[حديث آخر] قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يعقوب بن حميد المدني ، حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي ، حدثنا معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿ فألمها فجورها وتقواها ﴾ - قال - اللهم آت نفسي تقواها ، وزكأها أنت خير من زكأها ، أنت وليها ومولاها ، لم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح بن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « رب أعط نفسي تقواها ، وزكأها أنت خير من زكأها ، أنت وليها ومولاها » تفرد به .

[حديث آخر] قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والمهرم والجبن والبخل وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع . وعلم لا ينفع ودعوة لا تستجاب لها » قال زيد : كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكموهن ، رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به .

كَذَبَتْ ثُمُودٌ بِطَعُونِهَا ﴿١١﴾ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ

نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَادْمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَبُوهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي ، وقال محمد بن كعب : ﴿ بطفوها ﴾ أي بأجمعها ، والأول أولى ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما ، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين ﴿ إذ أنبئت أشقاها ﴾ أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، وهو الذي قال الله تعالى : ﴿ فتنادوا صاحبيهم فنعاطي فعفر ﴾ الآية . وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم شريفاً في قومه نسبياً رئيساً مطاعاً ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا ابن غنير ، حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال : خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال : « إذ أنبئت أشقاها أنبئت لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة » ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما ، وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن هشام بن عروة به . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلي : « ألا أحذثك بأشقى الناس ؟ » قال : بلى . قال : « رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبطل منه هذه » يعني لحيته .

وقوله تعالى : ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿ ناقة الله ﴾ أي أحذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ﴿ وسقياها ﴾ أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم ، قال الله تعالى : ﴿ فكذبوه فعقروها ﴾ أي كذبوه فيها جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ﴿ فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم ﴾ أي غضب عليهم فدمر عليهم ﴿ فسواها ﴾ أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبيهم فسواها . وقوله تعالى : ﴿ ولا يخاف ﴾ وقرئ فلا يخاف ﴿ عقباها ﴾ قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعه ، وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم ، وقال الضحاك والسدي : ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم . آخر تفسير سورة الشمس وضحاها ، والله الحمد والمنة .



تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ « فهلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا

يعشى . . . » .